

الصحراء الغربية

للأستاذ عبد اللطيف النشار

الحكمة الحائرة

للأديب عبد الرحمن الخنيسي

« إِذَا لَمْ يَسْكُرْ صَقَاءُ السَّمَاءِ
فَلَيْسَتْ تَبَيَّنَتْ تَهَاوِيلُهَا
وَأِنْ لَمْ يَثْرِ فِي حَوَائِي الْحَقُولِ
فَمَا تَدْرَعُ أَغْرَاسُهَا
وَلَوْلَا شُبُوبُ الْحَرِيقِ لَمَّا
وَهَذَا الصَّبَاحُ يَطْلُ خِلَالَ
وَيُولَدُ فِي رَاحَتِي ظِلْمَةٌ
فَلَا بُدَّ لِلشَّرِّ مِنْ أَنْ يَعْيشَ
لِتَبْزُغَ فِي مُعْمَرِهِ هَالَةٌ
وَتِلْكَ نَوَامِيسُ هَذَا الْوُجُودِ
كَذَلِكَ قَالَتْ لِنَفْسِي الْحَيَاةُ
يُنَارٌ مِنَ الشُّحْبِ الثَّابِرَةِ
وَلَا صَفْوٌ قُبَيْهَا السَّاحِرَةِ
شِتَاءٌ ، هَوَاطِلُهُ غَامِرَةٌ
وَمَا تُورِقُ الْخَضِرَةُ الزَّاهِرَةِ
فَرَعْنَا إِلَى الثَّدْرِ الْهَادِرَةِ
تَوَانِدٌ خَالِكَةٌ بِأَسِرَةِ
لَيْسَتْ أَنْوَارُهُ النَّبَاهِرَةِ
وَتَحْرُسُهُ الْأَنْفُسُ الْخَامِرَةِ
مِنْ الْخَيْرِ صَادِقَةٍ طَاهِرَةِ
وَتِلْكَ هِيَ الْحِكْمَةُ الْخَائِرَةُ
وَأَوْحَتْ مَعَالِمُهَا السَّاحِرَةَ

وَقَالَ لِي الصَّقَرُ فِي عِزَّةٍ :
وَأَنْقَضَ فِي اللَّيْلِ فَوْقَ الْوُكُورِ
وَأَتَرْتُ كَمَا لِلدَّجَى وَالسَّكُونِ
وَيُسْفِرُ فِي الرُّوضِ وَجْهَ الصَّبَاحِ
وَسَأَلُ مُسْتَجِدًّا بِالنُّصُونِ
فَهَتَرُ هَامَلْتُهَا حَسْرَةً
لَأَنَّ الصَّافِرَ مَا اسْتَيْقَضَتْ
وَمَا اسْتَقْبَلَتْ بِالْإِنْيَاءِ السَّقَى
وَيَنْسَلُبُ بَيْنَ الْعِشَاشِ الصِّيَاءِ
وَيَرْتَدُّ مُنْذِرًا بَاهِتًا
إِذَا مَا جَرَى فَوْقَ أَعْشَائِهَا
وَيَعْلَقُ بِالسَّمَاتِ النَّدَى
أَخْلَقُ فَوْقَ الذَّرَى الثَّابِرَةِ
وَأَنْهَشُ أَطْيَارَهَا لِلْسَّادِرَةِ
هَوَاتِفَ بِالْفَجَةِ الْفَادِرَةِ
فَقَعُورُهُ الْجَوَقَةُ الْطَّائِرَةِ
عَنِ الطَّيْرِ وَالْفُتُورَةِ الْبَاكِرَةِ
وَتَلْمَعُ أَزْهَارُهَا الْعَاطِرَةِ
وَمَا هَلَّتْ بِالشَّدَى سَاكِرَةِ
وَمَا حَوَمَتْ فِي الْقَضَا ذَاكِرَةِ
لِيُحِطَّ أَطْيَارُهَا الشَّاعِرَةِ
وَتَقَرُّ لِنَفْسِهِ الْوَاهِرَةِ
عَلَى جُمُتٍ مَيْتَةٍ ضَاكِرَةِ
دُمُوعًا مَبْسُورَةً ثَائِرَةِ

فَلَحْكَةٌ لَمْ يَجْرُ فَيْكِ الْمَاءِ
وَهِيَ الْخَصِيبَةُ ، تَرِبَةُ جَرْدَاءِ
يَا كَنْزُ ، بِأَبْكَ صَخْرَةِ صَمَاءِ
الْقَفْرِ سَوْرُ خَلْقِهِ النَّمَاءِ
وَالنَّاعِمَاتِ قُلُوبِهِنْ هَوَاءِ
أَلَّا تَفَارِقَ رَبَّهَا الْخِيَلَاءِ
هَلْ فِي نِيَابِكَ حَيَّةٌ رِقَاءِ
أَتَقُلُّ جَمْعَهُمْ لَنَا الصَّحْرَاءُ ؟
قَاعُ الْجَحِيمِ وَلِلطِفَةِ جَزَاءِ
وَتَسَابَقَتْ فِي عَوْنِهِ حُلَفَاءِ
مَاءٌ وَأَرْضٌ مَا بَهَا أَرْجَاءِ
أَبَدُ الزَّمَانِ وَمَا لَهَا أَحْشَاءِ
وَتَطِيرُ فِي لَهَوَاتِهَا الْأَحْيَاءِ
لَا الْبَحْرُ يَشْبِهُهَا وَلَا الْغُبَاءِ
قَدِيسَةٌ أَعْدَاؤُهَا الْجَهْلَاءِ
أَرْضٌ وَلَا أَجْوَاؤُهَا أَجْوَاءِ
وَتَبَيَّنُوا إِنْ الْجَوَابُ نَدَاءِ
أَنْ الذِّي يَرُوى التَّوَاطُرُ مَاءِ
فَالنَّوَلُ جَاعٌ وَجَاعَتِ الْعَنَاءِ
خَبْرٌ لِنَائِمَةِ الطَّوَى وَشِوَاءِ
حُمِّ الْقَضَاءِ وَلَنْ يَرُدَّ قَضَاءِ
وَمَنْ الْجَمِيعُ فَبِكَلَامِهِمْ أَسْمَاءِ
الْخَالِيَاتِ وَهُنَّ بَعْدُ مِلَاءِ
مَنْ لَا تَبَيَّنَ لَعِينُهُ الْأَشْجَاءِ
بَشَتْ بِهَا فِي الْعَالَمِ الصَّحْرَاءِ
وَالْآخِرُ الْجَمْعُاعُ حِينَ تَشَاءِ
تَبْقَى وَرُومًا سَاحَةً بَلْقَاءِ
عَبْدُ الْلطِيفِ النُّشَارِ
صَحْرَاءُ مَصْرَ سَلَتْ يَا صَحْرَاءُ
تَحْمِي السَّكَنَاءِ مِنْ أَذَى أَعْدَائِهَا
يَا نِيلُ ، صَحْرَاؤُكَ جَذِبُهُمَا عَنِّي
إِنْ الطَّبِيعَةُ لَا مُرَدَّ لِحُكْمِهَا
أَحْنِي الْقُلُوبَ جَسُومَهَا مَوْضُونَةٌ
وَوِدَاعَةُ الْعَمَتِ الرَّقِيقِ وَأَمَّا
يَا هَيْتَا سَلْسَ الْقَادَةِ لَيْتَا
أَعْدَاءُ مَصْرِ جَاوَرُوا صَحْرَاءُهَا
جَسْرُ الْبِنَاءِ أَنْتَ أُمُّ جَسْرِ إِلَى
بَاءِ الْخَلِيفِ بِنَصْرَةِ مَرْجُونَةٍ
لَكِنْ نَصْرَ اللَّهِ فِي بَحْرِ بِلَا
وَمَصْلَةُ أَفْوَاهِهَا مَفْغُورَةٌ
دَرْدَاءُ تَلْتَهُمُ الْخَبِيسَ بِأَسْرِهِ
ظِلًّا وَجُوعَ أَنْشَاءِهَا نَشَاءِ
تُخْفِي مَعَالِمَ جُرْمِهَا فَيُظْهِرُهَا
خَوَارَةُ مَوَارِدِهَا لَا أَرْضِهَا
فَادُوا يَجْعَلُكُمْ فِي مَجَاهِلِهَا الصَّدَى
رَدُّ وَلَا رَدَّ وَبُومُ الْآلَمَا
هِيَ إِلَى إِعْصَارِهَا وَسُحُومِهَا
وَجَسُومُكُمْ وَحَدِيدُكُمْ وَنَحَاسُكُمْ
عَبَادَ هَتَلُوا أَوْ أَدْبَرُوا
كَثْرَ الطَّنَفَةِ وَكَثْرَ وَاعِدِ الْحَصَى
أَوْ غَيْرِ مَنْ خَلَقَ الصَّحَارَى خَالِقُ
فَلْيَعْرِفِ الصَّحْرَاءُ فِي أَبْنَتِهَا
أُمُّ وَأَدْيَابُ وَفَنٍ نَاضِعُ
وَطُوتَ نَفَازُهَا وَتَطْوَى هَتَلَا
آثَارُ رُومًا مِنْ مَحَاجِرِهَا الَّتِي